تشكيل

«أقلّ دُخاناً، وأكثر...»

«الهايكو» بالأبيض والأسود

بيروت - رؤى الحجيري

تتبِخر اللحظة وتتبدِد، ويرسمها الفنان التشكيلي اللبناني أسامة بعلبكي في معرضه الجديد في غاليري «أجيال» (الحمرا - بيروت) «أقل دخاناً، وأكثر...».

لا يغريه الشكل ولا الألوان تحدّد ريشته وبصمته التشكيلية، لأنه يذهب إلى أبعد من ذلك بكثير. وكأن به يناشد الغايات الروحية العميقة، فيتلذذ بالشكل قبل أن يخطّه ألواناً، ويكتب الألوان قبل أن يبتكرها أشكالاً مستمدة من لحظات الحياة والشارع والمدينة والعزلة...

يخوض بعلبكي تجربته التشكيلية في معرضه الجديد، برؤية حداثية تتقصّد الالتباس في زمن غادره البطء وأصبح حنيناً ترسمه الكلمات أو ريشة الفنان أو تستعيده الصور وحكايات الأجداد، في لحظة ليست في المستقبل ولا تنتمي إلى الماضي، تحتوي الأزمان وتؤكد نفسها كحقيقة مفترضة من زاوية البعد الوجودي والذاتي، في عوالم أصبح كل بطء فيها إشارة الى الحنين والنوستالجيا.

يحاول بعلبكي اللحاق بالوسائل الوسائطية الجديدة بمناورات فنيّة، لا تتجاوز صرامة نصوص تشكيلية تحاور عتمة الشكل وتفاصيل منتقاة بعناية من حاضن بيئي فريد.

الزمن لدى بعلبكي تام، لا فرق بين الماضي والحاضر، وربما يعانقان بعضهما مكتفيان بخصائصهما الجوهرية، فيرسم الفنان خطوط الزمن التعبيرية بعينين انتقائيتين تبوحان بـ«الواقع المقدس» ولا تنشدان تغييره أو تعديله. لا يرسم المدينة الأفلاطونية المثالية ولا يفنّد ويلات الحرب والعنف، يشير فحسب إلى ومضات من هذه ولحظات من تلك. فلا يأخذنا إلى أكوان البهجة والعذوبة والرونق الحسي، ولا يتقصّد تذكيرنا بماض أليم وموجع، لتتأرجح لوحاتهُ بين تفاصيلنا اليومية الواقعية أو المستلة من الواقع المعاش، مجترحةً لنفسها إطارها الخاص من دون أن تصطدم بنور مستقبلي ولا عتمة ماضية.

التباس

ضمن تقنية الأكليريك وبالأبيض والأسود يرسم بعلبكي «البوسطة» العتيقة المهجورة، والسيارات المحترقة في حرب العراق، وبوسطة عين الرمانة الشهيرة التي كانت الشرارة التي أشعلت بين اللبنانيين حرباً ضروساً... يرسم كارل ماركس مضمداً في مقهى «تاء مربوطة» في الحمرا (بيروت). وفيما ترفّ فراشة زرقاء بجناحيها على جبين «المفكر»، يغطي رجل آخر وجهه بكتاب في لوحة تذكرنا بـ«الدوار» للرسام الإيراني أيمن المالكي. يفسر بعلبكي لوحاته بكلماته، يرسم المعنى في الكلمات، يقول:«أذهب إلى اللوحة بإرادة معاكسة للوصف السردي، لأنني أرسم الواقع، لا لتخليصه من مغالطاته، بل على العكس من ذلك، لتأكيدها، وإضفاء صفة الشعرية عليها. أحقق تصويباً على مفارقات مدبّرة في العمل لا تتوخّى قصداً مُحدّداً، فالمعنى يكمن في الالتباس، ويجسّد سِمة الحقيقة المفترضة. أتوخّى في اللوحة كما في النصّ، الإشارة الى تلك التفاصيل اليومية العادية والمذهلة في آن».

هكذا يتبدّى الحضور الإنساني والمادي في لوحته: حضور الإنسان في عزلته الأبدية، ومعايشاته للمساحات الداخلية بكل ما فيها من أغراض ومناخات نفسية وأصوات وروائح وهمسات غامضة. هذا الحضور هو حضوره الشخصي في عوالم خلفية زاخِرة بالتهرّب والتصوّرات الذاتية المُثقلة بالتأويل الذهنيّ لكل ما يحيط بالفنان، يرسم اللوحة ليقول الشعر، وبين التشكيل والشعر ثمة تقاطعات كثيرة، تبدأ في تأويل القصيدة واللوحة ولا تنتهي في أن كل قارئ أو زائر للمعرض يفسر اللوحة بحسب انعكاسها على شخصيته ونفسيته، كل عين ترى الرسم من زاويتها الخاصة، وكل رائي يقدم ملاحظة على القصيدة من منطلق أسلوب قراءته.

لا يطغى الوجدان على العقل، ولا العكس في لوحات بعلبكي التي لا تتوخى الإبهار، بل التعبير عن الاقتران الدائم بين الفكر والروح، وبين الوسائط الإنتاجية ومساحاتها الزمنية. ويوضح بعلبكي في أحد حواراته أن «الإيقاع البصري هو الأساس الذي يشحن العقل ويرسم له صورة الفعل والمعنى، لكن الاعتماد الكلي على الإيقاع البصري، ليس هدفاً في لوحاته، الإيقاع البصري فاعل ومتفاعل ويساهم في بناء المدخل لفهم الأساس الذي تقصده اللوحة، لكنه إيقاع مفتوح على إيقاعات من لون آخر، كالخيال المتواري والخيال الحسي الذي يشبه الواقع».

«أُنشئُ لوحتي، صنفاً أدبيّاً أقرب ما يكون الى قصيدة «الهايكو»، جملة من التداعيات العادية مكلّلة بلمعة خارقة. إذ ذاك، تغدو اللوحة منصّة مسرحية لواقع يتأرجح بين ما هو حقيقي وما هو زائِف، لوحة تنبع من الحدس، وتوحي بأنها انبثقت من التعبير الاستعاري، وتلحّفت برداء الحَرفيّة»، هكذا يصف بعلبكي لوحاته وكأنها أشعار يابانية يجعلها وضوحها الشديد غامضة، وقصائد عربية هربت من التقليدية والتفعيلة، وسيطرت على التمرّد الحديث في أن فحملت رؤيا مختلفة إلى العالم.

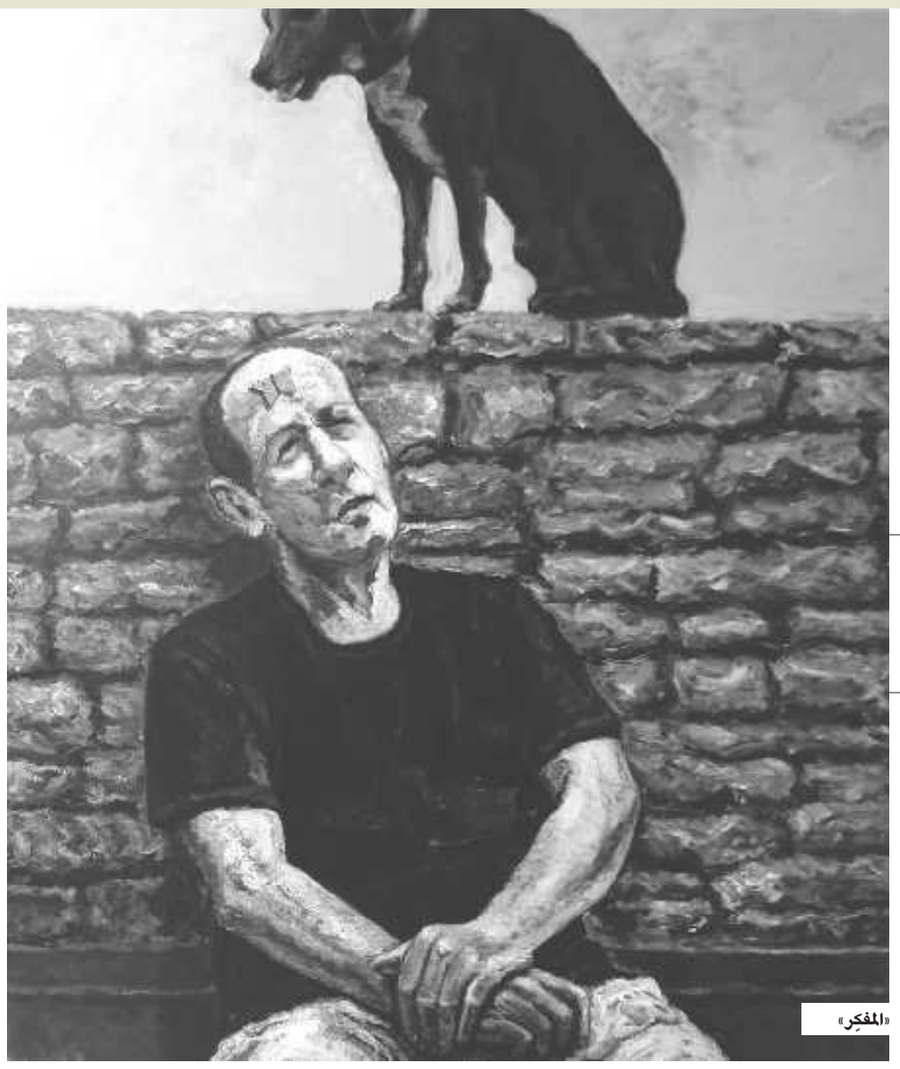
«المفكِر»

«عطور الأم»

«الفراغ»

«بوسطة عين الرمانة»

وجع الهزائم

فوزية شويش السالم
fawziyalsalem@hotmail.com

«أخي جاوز الظالمون المدى فحق الجهاد وحق الفدا»، هذا مطلع أغنية المطرب محمد عبدالوهاب الشهيرة التي لازمت الإنسان العربي منذ ولادته إلى يوم وفاته، أغنية محمّلة بالوجع العربي الممتد من المحيط إلى الخليج... من شمال إفريقيا إلى الخليج العربي في آسيا، هذه الأغنية التي أصبحت لازمة ومتلازمة لكل مراحل عمرنا من الطفولة إلى الكهولة، رفيقة الأحزان والهموم العربية التي لا تنتهي ولا تجد من يرفق بها، ومن يعيد وجه الحق إلى أهله ومن يرد إلى العدالة إنصافها.

هذه الأغنية هي شهادة لزمن المعاناة العربي منذ البدايات الأولى للاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، أول جرح في جسد الأمة العربية، وأول وجع يضربها في الصميم، وليفتح في العمق جراحاته التي لن تشفى ولن تتعافى ولن تنضب. أغنية بصمة لزمن الشراسة والجور، ولتعدي بلد واحد ضد العديد من الدول العربية على المحك معها، إسرائيل وفلسطين، سورية وإسرائيل، مصر وإسرائيل، لبنان وإسرائيل، الأردن وإسرائيل، وسلسلة لا تنتهي من حروب لا تقدم أي انتصار مهما كان التطبيل والتهويل، ففي الحقيقة لا يوجد أي انتصار إلا هذه الهزيمة المتربصة بعالم عربي يتشارك في هموم وأحزان غير منقطعة. وهذا هو قدرنا والنصيب المتربص بنا، وألم لا يهدأ ولا ينقطع، ولأجل البخت والحظ السعيد، ولأننا أمة عربية واحدة كان من نصيبنا أن نتشارك مصائبنا وكوارثنا التي لا تنتهي ولا تتوقف، وأن نبتلي بعدو واحد تجاه أمة ممتدة من المحيط إلى الخليج، ولا يوجد وطن في العالم واجهه مثل طول المأساة العربية، ولا يوجد بلد في العالم واجهته كل هذه الكوارث التي واجهناها، ولأننا أمة تمتد من المحيط إلى الخليج فألمنا الذي لا ينتهي ممتد طوال السنين من المحيط إلى الخليج، فهل يوجد وجع أطول من هذا؟

لكوننا أمة عربية واحدة تتشارك الهموم والمواجع، هل يوجد لنا درب آخر، أو هل لنا حل ينهي مآسينا التي لا تنتهي؟ أو يهدينا شيئا ما من بهاء الوجود ورفعة الرأس، ويمسح من ذاكرتنا وجع الهزائم وخنوع الإرادة المزري، وضعف الحيلة الذي جعلنا مطأطئي الرأس بلا حول ولا قوة إلا من مسحة أسى شاحبة تطلي وجوهنا بالخجل والمذلة والهوان، ماذا نفعل تجاه استلاب كرامتنا المذل هذا؟ ماذا نقول للعالم ودماء أطفال غزة العرب تسيل أمام الكبرياء العربي المذبوح من الوريد إلى الوريد؟ وكيف نداري فضيحتنا وعارنا تجاه الشهداء الذين يتساقطون ونحن نلتف تحت لواء الـ«لا حول ولا قوة إلا بالله»، ليس لنا إلا ضعفنا الذي نرضعه من الطفولة إلى الكهولة. وهل هناك غيره؟ نخجل من الله يوم يحاسبنا، نخجل من أنفسنا على تخاذلنا، ونخجل من دماء الشهداء، ومن ذعر الأطفال المصروع بالفزع، ومن حزن الأمهات الجليل. وماذا نفعل، وماذا نقدم؟ إلا أضعف الإيمان الدعاء والتبرع بالمال ونسأل الله أن تكون بادرة خادم الحرمين نهاية وخاتمة لتلك الأوجاع المزمنة، وأن يكون فيها الحل الدائم والناجع لهذا الوجع الممتد من المحيط إلى الخليج.

نفائس

مصر تطالب السويد

بـ 212 قطعة أثريّة

القاهرة - الجريدة.

أعلن وزير الثقافة المصري فاروق حسني أن مصر تقدمت بطلب رسمي للحكومة السويدية لاسترداد 212 قطعة أثرية من متحف «أوستر غوتلاند» في ستوكهولم، على اعتبار أنها قطع أثرية خرجت من مصر بطريقة غير شرعية في منتصف العشرينات.

أعلن حسني أن الحكومة المصرية متمثلة في وزارة الثقافة قامت بهذا الإجراء بعد موافقة اللجنة القومية لاسترداد الآثار خلال اجتماعها الأخير.

وأوضح أمين عام «المجلس الأعلى للآثار» د. زاهي حواس أن هذه القطع تعود إلى حقب تاريخية مختلفة، وقال: «في منتصف العشرينات من القرن الماضي، حصل أوتو سميث (Otto Smith)، أحد المولعين بالآثار المصرية، على هذه القطع بعد أن حفر خلسة في سقارة والأقصر أثناء زياراته المتعددة إلى مصر. وفي عام 1959 بعد وفاته أهدت أسرة سميث هذه القطع إلى متحف «أوستر غوتلاند»، اعتقاداً منها أن الأخير سيكون أكثر قدرة على الاعتناء بهذه القطع والحفاظ عليها، على أن يظل للعائلة حق ملكيتها واستردادها في أي وقت إذا تعرضت القطع للإهمال أو التلف».

إهمال

على أثر زيارات العائلة المتكررة للمتحف خلال العشر سنوات الماضية، تبين أن إدارة المتحف أخلّت بشروط العقد المبرم بين الطرفين عام 1959، إذ وُضع بعض القطع في المخزن ونقل البعض الآخر إلى المطعم الخاص بالمتحف، وعرض معظمها بطريقة العرض المفتوح، وهي طريقة قد تعرّضها للتلف والإهمال. لذا وجدت العائلة أنه لا بد من استرداد القطع من المتحف بموجب العقد المبرم بين الطرفين ومنحها لبلدها الأم مصر.

وقال المستشار القانوني للمجلس الأعلى للآثار وعضو «اللجنة القومية لاسترداد الآثار» أشرف العشماوي: «بعد معاينة القطع في مكان عرضها الراهن في المتحف في ستوكهولم، تبيّن أنها آثار ذات قيمة تاريخية كبيرة، وأن الغالبية منها معروضة في واجهات داخل المطعم الخاص بالمتحف وليس في قاعات عرض، ما يسيء الى قيمتها التاريخية ويعرّضها للتلف، بالإضافة إلى أن البعض الآخر معروض خارج الواجهات، ما يجعله عرضة للكسر والتلف بسبب الحرارة المنبعثة من مطبخ المطعم، فضلاً عن الأتربة والإضاءة المباشرة».

كذلك أكد العشماوي أن الجانب المصري توصّل إلى اتفاق مبدئي لاسترداد الآثار، وأسفرت المفاوضات عن تحرير إقرار مكتوب من ممثل العائلة ومحاميه يفيد بأن العائلة لا تملك أي مستندات رسمية تفيد بملكيتها لهذه القطع أو بموافقة الحكومة المصرية على الحفائر التي قام بها سميث. ووثق الجانب المصري هذا الإقرار في السجل العقاري في السويد، بالإضافة إلى أنه أعدّ قائمة بأسماء القطع وعددها وقيمتها الأثرية.

كتاب

«أما من شرق يحتويني؟»... فلسفة وحلم لا ينتهيان

جودت مناع

يعكس «أما من شرق يحتويني؟» لبسمة عقاب الصباح طبيعة الماضي التي نمت في ذكريات الكاتبة في شرق يئن تحت وطأة التطور الإنساني.

يعبر الكتاب الصادر عن «دار العروبة» ثقة بسمة بذاتها وسعة خيالها.

ما من شك في أن مضمون الإهداء يعكس طموحاً تبحث عنه الكاتبة على أرض تجاوزت حدود وطنها الكويت. أطلّ هذا الطموح من دون مبالاة بكلماته المبعثرة ضمن أجزاء الكتاب، وامتثل لطبيعة سلوك المرأة في مجتمع ما زال عصياً يعترض معاني الكلمات، وترجم التجاذب بين رؤيتي الرجل والمرأة في مختلف ميادين الحياة.

تحمل عناوين قصائد الكتاب (75 صفحة) في مضامينها فلسفة تحلم بتحقيقها الكاتبة. وإذ يرد عنوان «عري الأرض وعباءة الليل» مجازياً، يظهر مضمونه الرافض للواقع الراهن. ولا تخفي قصيدة «أما من؟» جانباً رومانسياً يعبّر عن تراكم نسيج حالة نثرية متباينة كإشهار الوحدة ومواجهة الواقع المرّ، كقولها:

لو هبت الريح لكسرت
وحدتي إلى نصفين.
نصف أتباهى به...
والآخر أخبئه للزمن!!

تنم الكلمات عن الإصرار والثبات في الشرق.

لا تخلو قصيدة «السماء التي أرضعتني حرية» من اللوم المفرط، وكأنها تدعو الشرق لمراجعة الذات وتقويم المرحلة منهية القصيدة بقولها:

من قال إنها ماتت
الحرية أيها السادة
فوق الموت

إنها فلسفة تخلد الغربة أكثر من الموت الذي لا يعتق أحداً من مذاقه.

ثم تتراجع الكاتبة في قصيدة «أجهلك» وتكتب:

أراك وطناً ألجأ إليه
عندما تحاصرني الغربة

لكنها في الوقت ذاته ترسم صورة للعلاقة الإنسانية المحفوفة بمحاذير لم تتجاوزها بعد.

زحام الغربة

تتوه الكاتبة في زحام الغربة وتقول:

هناك شوق ينتظرني... وغربة
هذه المدينة أتعبتني
ما جدوى أن أسكنها
فهلا عذرتني؟

في قصيدة «من الكبائر»، يتجلّى معنى الحرية ضمن نطاقين أوسعهما رحاب الوطن وأضيقهما الأسرة، وكأن الكاتبة تقول إن القلوب انفطرت بسبب غياب الأمل:

ننام على حلم
نحيا على أمل

كذلك لدى بسمة رأي في الأحداث التي تقتل جمال بيروت:

منذ متى يا بيروت
وأنت تلدين أطفالاً خارج حملك؟؟
منذ متى لم تطأ أقدامهم ساحاتك؟

في إشارة إلى غربة عشرات آلاف اللبنانيين عن وطنهم في المهجر.

تصبّ الكاتبة جام غضبها على الأشرار الذين تسببوا بقتل الأطفال وتحويلهم إلى أشلاء تحت الأنقاض. إنها خواطر تعكس إنسانية الكاتبة تجاه قضية يغض النظر عنها المجتمع الدولي:

عليك السلام أيها الطفل
الذي مات تحت الأنقاض
فصعدت روحه الطاهرة لجنات الخلد
وترك الأرض
يلعب بها
الأشرار حتى يقبض الله روحهم
فتقذف في جحيم جهنم.
وعندها
تتحقق العدالة

تتساءل الكاتبة عن معنى الحرية في قصيدة «طقوس» بقولها:

ما هي الحرية؟
تغتسل بالبحيرة
تتنشف بضحكة حبيبتي
وترتدي عبارة
المغفرة.

بسمة الصباح

في قصائد بسمة مفهوم يستحضر رؤية شرقية لمعنى الحرية في عقل المرأة، وأفكار مبعثرة كخطوات تتنقل على حبل يمتد فوق واد سحيق، تجتذب أنظار معجبين. فتتجاذب الحرية مع الأمل، فيما يتنافر الغضب مع الرومانسية.

في «من الكبائر» يتجلّى معنى الحرية ضمن نطاقين أوسعهما رحاب الوطن وأضيقهما الأسرة